

# أطفال الربيع العربي والحق في التعليم

د/ هشام سبع

أستاذ علم الاجتماع، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج

[h\\_sebaa@yahoo.fr](mailto:h_sebaa@yahoo.fr)

د/ محمد لمين هيشور

أستاذ علم الاجتماع، جامعة ابن خلدون، تيارت

[haichouramine@yahoo.fr](mailto:haichouramine@yahoo.fr)

## ملخص

يعتبر التعليم حق يكفله القانون الدولي لحقوق الإنسان، وفي المجتمعات العربية والمسلمة يعتبر التعليم، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. لما له من أهمية بالغة في القضاء على الجهل، الأمية والتخلف، من جهة ، وبلوغ مستوى معين من الثقافة والتثاقف من جهة أخرى. وبلدان الربيع العربي ك: سوريا ، ليبيا، اليمن، والعراق... من البلدان الأكثر تضررا من ناحية التعليم، فالحروب والصراعات الطائفية والعرقية خلقت دمارا وانعدام شبه كلي للمؤسسات والمدارس التعليمية ، ناهيك عن انقطاع الأطفال عن التعليم نتيجة هروبهم من واقع اليم لا يبعث على الإرتياح ومزاولة الدراسة منذ سنة 2011. لذا تأتي هذه المداخلة لتقف على هذه المشكلة مبرزة الجوانب السلبية الإجتماعية والتربوية لتلاميذ بلدان الربيع العربي وتعدادهم الديموغرافي.

**الكلمات المفتاحية:** التعليم، المدرسة، الحروب، الحق في التعليم، طفل الربيع العربي.

تاريخ النشر: 2018/12/10

تاريخ الإيداع: 2018/03/23

ديسمبر 2018

العدد 1

المجلد 4

ISSN : 2676-2064

مجلة معابر

## تساؤلات الدراسة:

1-هل لأطفال الربيع العربي الحق في التعليم؟

هل يؤدي عدم استقرار النظام السياسي إلى زعزعة النظام التعليمي؟

ما مصير الأطفال اللاجئين في كل من ليبيا ، سوريا، اليمن، والعراق؟

هل تستطيع بلدان الجوار كـ: لبنان، الأردن تركيا أن توفر مدارس كافية؟

هل يمكن للمنظمات والهيئات العالمية احتضان هذا الكم من الأطفال اللاجئين؟

للإجابة على هذه التساؤلات اختار الباحثان المحاور الآتية:

### محاور المداخلة:

#### المحور الأول: تحديد المفاهيم:

##### أ-التربية:

أ-1 لغة: " من الفعل ربا بمعنى زاد ونما، وأربيته أنميته. وربيت فلان أنشأته ، كما تعني التربية إبلاغ الشيء إلى كماله يسيرا أي تيسير بصورة تدريجية منظمة تتخطى فيها المرحلة بعد المرحلة".

##### أ-2 التربية سوسولوجيا:

سوسولوجيا فالتربية حسب جون ستيوارت ميل فهي " كل ما نفعله نحن من أجل أنفسنا من كمال طبيعتنا"

ويعرف دوركايم التربية بأنها" الفعل الذي تمارسه الأجيال البالغة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية، وهي تقوم بإثارة وتنمية مجموعة من الحالات

الجسدية والذهنية والأخلاقية لدى الطفل حسبما يطلبها منه المجتمع السياسي برمته والوسط الخاص الذي تنتمي إليه ."

**تعقيب:** إن التربية هي عملية تلقينية تتحملها مجموعة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وعلى رأسها الأبوين والأسرة، بحيث تتضمن نقل المواهب والأفكار والتجارب والخبرات السابقة من الآباء والأجداد إلى الفئات الصغرى والأطفال، بغية تكوين جيل واعي، متوازن ومسؤول، .

**ب-التعليم:** يعرف التعليم بأنه أحد الأركان الثلاثة الرئيسية (التعليم، الصحة ، الدخل القومي) للتممية البشرية، ويشمل كل أنواع التعليم الإنساني التي تسهم في زيادة المعرفة، وإيجاد التراكم الفكري الذي يتولد عنه نمو رأس المال البشري.

**ج-المدرسة:"** تعتبر المدرسة إحدى المنظمات الاجتماعية التي أنشأها المجتمع لتقابل حاجاته الأساسية سواء كانت تربية أو نفسية أو اجتماعية، التي عجزت الأسرة ، بعد أن تعقدت الحياة وزادت المعارف والخبرات الإنسانية عن تأدية رسالتها على الوجه الأكمل".

**تعقيب:** يقتضي التعليم توفير وإنشاء المدارس - فالمدرسة- تعتبر ثاني أكبر مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية من ناحية توصيل المعارف والمهارات، لجمهور عريض من المتدربين على مختلف الأطوار والمستويات الثلاثة الابتدائي، المتوسط ، والثانوي، يشرف عليها مجموعة من المختصين، المربين، والأساتذة وفق إطار قانوني منظم تابع لوزارات التربية.

**د-طفل الربيع العربي:** طفل الربيع العربي في هذه الدراسة هو طفل من إحدى الدول العربية التي تعرضت مؤسساتها وهيكلها التربوية لمجموعة من الخراب والدمار، نتيجة صراعات داخلية وحروب أهلية، مثل: (ليبيا، اليمن، سوريا والعراق) جعلته يهرب بجلده من واقع أليم إلى واقع أفضل حال ، بحيث استقر به المقام في إحدى الدول المجاورة ك: الأردن، تركيا، لبنان أو بعض الدول الأوروبية ك : ألمانيا،

إسبانيا و كندا... وأصبح يعرف بالطفل اللاجئ يتمدرس في الخيام أو بعض المراكز التابعة لحقوق الإنسان.

### المحور الثاني- زعزعة التعليم و مشكلة اللاجئين في بلدان الربيع العربي :

يقارب عدد اللاجئين السوريين 5 ملايين لاجئ، تشكل نسبة الأطفال تحت سن 18 -التعليم الأساسي- حوالي 52% من العدد الإجمالي، وذلك بحسب التحديث الأخير في أغسطس 2016، بخلاف عدد النازحين داخلياً، والذي يُقدَّر بـ 6.6 مليون نازح، وما زال 53% من نسبة الأطفال السوريين محرومين من فرص التعليم في دول الجوار (مصر، والأردن، ولبنان، وتركيا)، أما اليمن فتتشكل المعاناة الكبرى في النزوح الداخلي نتيجة للمعارك المستمرة التي تجبر مئات الآلاف على النزوح، ويقدر عدد النازحين بحسب إحصائية ديسمبر 2015 بحوالي 2.3 مليون نسمة، وبحسب إحصائيات مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، فإن 1.6 مليون طفل يماني غير قادرين على اللحاق بالمدارس، بينما 1.8 مليون طفل يماني فقدوا حقهم في الحصول على التعليم، مع إغلاق 3500 مدرسة في مختلف أنحاء البلاد منذ بداية الصراع في مارس 2015.

وتتشابك الأزمة في العراق مع ازدياد المعاركة الطائفية بشكل يومي، والتي أفرزت موجات لجوء ونزوح عدة حتى وصلت بحسب إحصائية المفوضية السامية لشؤون اللاجئين لـ 3.3 مليون نازح داخلي، فقد معها العديد من الطلاب حقهم في التعليم الأساسي، والجامعي سواء داخل، أو خارج العراق.

أكد تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة للأمم المتحدة والطفولة (اليونيسيف) في 3 سبتمبر (أيلول) 2015، بعنوان «التعليم تحت النار»، أن الصراعات الداخلية في منطقة الشرق الأوسط منعت ما لا يقل عن 13.4 مليون طفل من تلقي التعليم في المدارس في كلٍّ من سوريا والعراق واليمن وليبيا وجنوب السودان، بما يعادل نسبة 40 في المائة من إجمالي عدد الأطفال في سن الدراسة في هذه الدول.

وتتفاوت معدلات التسرب من التعليم من دولة لأخرى، حيث تصل إلى 3.1 مليون طفل في السودان، و3 ملايين طفل في العراق، و2.9 مليون طفل في اليمن، و2.7 مليون طفل في سوريا ومناطق تمركز اللاجئين السوريين في الأردن ولبنان وتركيا ومصر، ومليون طفل في ليبيا. وقال بيتر سلامة المدير الإقليمي لليونيسيف، إنه ليس على سبيل المصادفة أن ما يظهر في اللقطات التلفزيونية، وهذه الصور المفزعة لأشخاص يعبرون البحر في قوارب إلى اليونان وإيطاليا، ينبع إلى حد بعيد من الصراع السوري والصراع في العراق. وأضاف أن «اللاجئين يقولون كثيراً إن تعليم أطفالهم هو الأولوية القصوى بالنسبة لهم، وإن دولاً كثيرة بالمنطقة لا يمكنها ببساطة توفير هذا الحق الإنساني الأساسي».

### المحور الثالث- التداعيات النفسية على أطفال الحروب وسبل معالجتها:

#### أ- التداعيات النفسية من وجهة نظر المختصين :

تفيد الاختصاصية في علم نفس الطفل ريهام منذر بأن الحروب عادة ما تسبب صدمة نفسية لدى الأطفال، تعرف بـ«Post Traumatic Stress Disorder»، وتؤدي هذه الحالة المرضية إلى أمراض جسدية، سببها نفسي. وتشرح منذر: «عندما يعيش الأطفال نزاعات مسلحة، وحروباً قتالية، من الطبيعي أن تسبب لهم هذه الأحداث عقداً نفسية تدفعهم تجاه تصرفات عدائية عنفية. كما أنها تسبب مشكلات بالأكل والنوم، واضطرابات غذائية صحية

وتكمل منذر، قائلة: «نادراً ما يعود الأطفال الذين عانوا من الحروب إلى مقاعد الدراسة، وذلك بسبب الفجوة الأكاديمية التي تتسع مع مرور السنوات، مثل ما يحدث حالياً في بعض مناطق عالما العربي. فيجد الطفل نفسه أكبر من مستواه الأكاديمي بالعمر الزمني، ويفقد الطموح والحماس لإكمال مسيرته التعليمية».

**وتشرح منذر، طارحة:** مثال أزمة عمالة الأطفال: «فالحرب السورية دفعت كثيراً من الطلاب إلى ترك مدارسهم والبحث عن عمل بغية مساعدة ذويهم في تحمل تكاليف العيش؛ وهؤلاء الأطفال نادراً ما يهتمون بالعلم بعد أن دخلوا سوق العمل من أضييق أبوابه.»

وتقول منذر إن معظم المدارس المخصصة لتعليم اللاجئين دون المستوى المطلوب، وأعطت مثلاً «مدارس بعد الظهر اللبنانية» التي تؤمن، بحسب وصف منذر، «صفوفاً لمحو الأمية، ليس إلا». كما تفتقد هذه المدارس لاختصاصيين نفسيين، رغم أن الأطفال اللاجئين هم الأكثر حاجة لمعالجة ومتابعة نفسية، وفقاً لم منذر.

**اليونيسيف:** تعتب اليونيسيف أن الأطفال الذين يحرمون من التعليم قد ينتهي بهم الحال إلى القيام بأعمال غير مشروعة، وكثيراً ما يصبحون هم من يعيلون أسرهم، ويصبحون عرضة للاستغلال، ومن الممكن أن يتم تجنيدهم في الجماعات المسلحة بسهولة أكبر.

كما لفت التقرير إلى أن العالم بصدد فقدان جيل كامل من الأطفال في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأنه يجب التحرك بشكل عاجل، وإلا سيلحق ضرر على المدى البعيد بالأطفال في المنطقة، ويتعذر تغييره.

#### **ب- سبل المعالجة وإعادة دمج الأطفال في العملية التعليمية:**

تصف الدكتورة في تقنيات التعليم جنى بورسلان الوضع الأكاديمي لأطفال العالم العربي بأنه «مخزٍ»، فبعد أن حرمتهم الحروب من متابعة دراستهم، وهي أبسط حقوقهم الإنسانية، تنظر لوضعهم «بنظرة واقعية» قائلة: «حان وقت التحلي عن النظرة الحاملة والرومانسية، ويجب وضع خطط استثنائية واضطرارية مباشرة، كي

نبدأ بالعمل الجدي لننقذ الأطفال وموقفهم التعليمي، وهذه القضية ليست بخاصة، بل تعني الشأن العام.

وتضيف: «هناك خطط أكاديمية تسمح لهم بالانخراط في عالم العلم الحالي، ويمكننا أن نسخر التكنولوجيا لخدمة هؤلاء الأطفال. واليوم، لدينا ما يعرف بـ(تقنيات التعلم عبر الجوال) أو (Mobile Learning)، فمن منا لا يحمل جوالاً؟ وحتى في المناطق النامية، وتلك القابعة تحت خط الفقر، هناك خدمات الجوال، وتقنيات أساسية تكنولوجية، يمكننا الاستفادة منها، وذلك عبر تجهيز ونشر تطبيقات متعلقة بالتربية والتعليم، وتوظيفها بالطريقة الصحيحة.

وتؤكد بورسلان أن استخدام الوسائل التكنولوجية والتقنيات الرقمية لا يعني الاعتماد عليها بشكل كلي، بل «يجب أن نؤمن الرعاية الكاملة، عبر إعداد أساتذة متبرعين وطلاب متدربين يشاركون بالعمل التطوعي. وعلينا أن نقيس درجة نجاح هذه الخطط. أما في التطبيق، فعندما تصدر هذه المشاريع عن منظمات عالمية، مثل الإسكوا واليونيسيف، يكون المتطوعون بكامل الجهوزية النفسية والأكاديمية التي تخولهم التعامل مع الأطفال، لهذا فإن تحركهم الفعلي أمر ضروري ومستعجل.

وبالعودة لمنذر، فإنها تؤكد أن جزءاً من الحل يكمن في تدريب الأساتذة على كيفية التعامل مع أطفال عانوا من النزاعات، عبر «إبعادهم عن كل مصادر العنف والإساءة والإهانة والتمييز، وتدريب الأطفال على تقبل الآخر والانفتاح بغية الانخراط بالمجتمعات التي تستقبلهم وتحضنهم بطريقة سليمة ومفيدة».

ويبقى الطفل العربي الحلقة الأضعف في مجتمعات تمر بصراعات محتمة وظروف سياسية واقتصادية غير مستقرة، الأمر الذي ينعكس على حياته، ويجعله يمر

بظروف أسوأ من تلك التي يعيش في ظلها نظراؤه في باقي دول العالم، بما فيها دول العالم الثالث، ذلك أن هناك أكثر من 15 مليون طفل عربي يعيشون في ظروف إنسانية صعبة. ويؤدي تردي الأوضاع التعليمية في تلك المناطق لإطالة أمد الصراعات نتيجة توظيف الأطفال من جانب الأطراف المتقاتلة، مما يسهم في تكريس قيم التطرف والصراع والعنف، وعدم تقبل الآخر لدى الأجيال الصاعدة. وعلى الرغم من تفاوت الاهتمام بقضايا الطفولة من قطر عربي لآخر، فإن الوعي بخطورة قضية الطفولة، بعديها قضية بالغة الحساسية تتعلق بالمستقبل العربي، ما زال عامّة مفقوداً.

### ج- الجهود المبذولة لإنقاذ التعليم في المناطق المشتعلة:

#### ج-1 مدارس المخيمات:

أدى انقطاع الأطفال اللاجئين عن التعليم إلى قيام بعض المؤسسات الخيرية بإنشاء مدارس للاجئين في المخيمات شبيهة بالكاتيب الدينية، حيث تتكون من خيمة في مناطق تركز اللاجئين، وتُركز على تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والحساب، وهي لا تتبع أية جهة رسمية في دولة اللجوء، وإنما في الأغلب تأتي بمبادرة من أئمة المساجد أو الجمعيات الخيرية ممن تأتمنهم إدارة المخيمات والجهات الأمنية على التعليم. ونتيجة اعتمادها على التطوع والعمل الخيري وكونها لا تتطلب انتقال أطفال اللاجئين إلى داخل الدولة فإن هذه المدارس تُعد الأكثر قبولا في مخيمات اللاجئين في لبنان والأردن وتركيا.

#### ج-2 مبادرة جيل غير ضائع:

تم إطلاق هذه المبادرة بدعم من الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الإنسانية غير الحكومية والمانحين الدوليين، وتستهدف حماية الأطفال من تداعيات الحروب، حيث تمكنت هذه المبادرة من تأسيس 600 مدرسة مفتوحة في سورية تسمح

للمنتسبين إليها بتعويض المقررات الدراسية التي لم يدرسوها خلال سنوات، كما ساهمت المبادرة في مضاعفة عدد الأطفال السوريين المسجلين في التعليم الرسمي وغير الرسمي، وأثمرت جهود المؤسسات المنخرطة في المبادرة عن تعليم ما لا يقل عن 413 ألف طفل سوري ولبناني من الفقراء خلال العام الفائت .

### ج-3 حملات العودة للتعليم:

قامت منظمة اليونيسيف برعاية مجموعة حملات بعنوان "العودة للتعليم" في عدد من الدول العربية، وتقوم هذه الحملات على إنشاء مراكز للتعليم البديل وإصلاح المؤسسات التعليمية المتضررة من الصراعات الداخلية. ففي لبنان مثلاً أطلقت وزارة التعليم اللبنانية ومنظمة اليونيسيف حملة "كلنا المدرسة" لدعم تعليم اللاجئين السوريين، حيث تم تسجيل ما لا يقل عن 106 ألف طفل من اللاجئين في المدارس اللبنانية في مقابل 300 ألف آخرين لم يتم تسجيلهم، حيث تتحمل اليونيسيف كامل تكلفة تعليم اللاجئين في المدارس اللبنانية .

### ج-4 إعادة الإعمار:

تولّت بعض المؤسسات الخيرية في الدول العربية بناء مدارس جديدة في المناطق المشتعلة التي تمت تسويتها في إطار عمليات إعادة الأعمار .

ومع ذلك، فإن هذه المبادرات تتسم بمحدودية النطاق، وافتقادها القدرة على استيعاب الأطفال المتضررين من الصراعات الداخلية، فضلاً عن ضعف التمويل لهذه المبادرات، وهو ما يتجلى في إخفاق مؤسسات الإغاثة الدولية في تأمين 200 مليون دولار العام الماضي لتمويل خدمات التعليم لأطفال اللاجئين في سورية ولبنان والأردن على الرغم من تعهد كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والأمم المتحدة بتقديم حوالي 316 مليون دولار لدعم أطفال سورية المتضررين من الحرب.

## خاتمة:

إن تردّي الأوضاع السياسية في بلدان الربيع العربي من شأنه أن يؤدي إلى تردّي الأوضاع التعليمية والمدرسية في تلك المناطق. وهو ما يجعل الأطفال في بوتقة لعبة النار بين الأنظمة السياسية و الأطراف المتصارعة، وهيمنة الفرقاء المتصارعين وحلفائهم الإقليميين على عمليات التنشئة و مختلف مؤسسات التعليم " كالمدرسة " ، مما يسهم في تكريس قيم التطرف والتكفير والصراع والعنف، و بروز الثقافات الإثنية في البلدان المهاجر إليها . وعدم تقبل الآخر لدى الأجيال الصاعدة. واستبدال ثقافة الحوار بثقافة التصادم، وهذا ما يجعل الناشئة تعيش وسط عالم يسوده اللأمن والخوف الشديدين، فتتهار المنظومة التربوية ويبقى الطفل حائراً ، تائها بين الحدود في بلدان الجوار، هذا ما يؤدي به في يوم من الأيام إلى إخراج ما في جعبته من كتابات حائطية عدائية تظهر في شكل هامشية يكرس من خلالها الطفل ما ورثه من مجتمع يسوده الخراب والدمار وعنوانه الدم و الانفصال.

## الاقتراحات :

- 1-إحلال السلام العالمي والمشارك واستبدال لغة الصراع بلغة الحوار، وتجنّب المجتمعات والمؤسسات بما فيها المدرسة الانقطاع والتسرب و الفرقة والانقسامات،
- 2-تكاتف جهود المنظمات، وهيئات الإغاثة الدولية من أجل دعم الأطفال اللاجئين والتكفل بهم تعليمياً.
- 3-على منظمات التعاون الإسلامي، والجامعة العربية، والمجلس الدولي للغة العربية التحرك من أجل الحفاظ على الناشئة من الضياع، ودعم فرص التعليم في مناطق النزاع العربي.
- 4-على الأنظمة العالمية أن تخطط لبرامج واستراتيجيات بناء للدول الفقيرة والمستضعفة، وان تخطط لثقافة العيش في سلام عالمي مشترك .

- 5-الحفاظ على مكسب العلم، المعرفة، والتعليم، لأنه حق لكل فرد على وجه الأرض.
- 6-إعمار ما يمكن إعمارهِ، وزيادة بناء المدارس، وإتاحة فرصة التعليم لجميع الأطفال.

### قائمة المراجع

- 1- عبد الحميد الطاهر زنبيل، " استراتيجيّة التعليم التقني في ليبيا " ، المؤتمر الدولي الثاني للتربية ومهارات التعلم والتعليم، جامعة الإسراء ، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2012.
- 2- يوسفى حدة، " الحاجة إلى الممارسة المهنية للخدمة الإجتماعية في المجال المدرسي " ، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر ، جانفي، ، بسكرة، الجزائر، 2009.
- 3- لطيفة طبال ، " أزمة التربية في المجتمعات العربية "، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر ، جانفي، 2009، بسكرة، الجزائر، ص 198
- 4- لطيفة طبال ، نقلا عن: أوبير رونيه، **التربية العامة**، ترجمة عبد الله عبد الدايم ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، 1972،
- 5- لطيفة طبال ، نقلا عن: عدنان الأمين، **التشئة الإجتماعية وتكوين الطباغ**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، 2005.
- 6- هشام سبع، **محاضرات في مقياس التغير الإجتماعي**، سنة ثانية علم الإجتماع، قسم العلوم الإجتماعية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج ، 2016/2017
- 7- النازحون.. الحرمان من التعليم داخل أسوار الوطن -<https://www.sasapost.com/refugees-and-education-in-the-arab-world>
- 8- رياح الحروب تقفل أبواب المدارس، فأى مستقبل للأطفال العرب،  
[/ https://aawsat.com/home/article/988056](https://aawsat.com/home/article/988056)